



الى القراء

الفرض الاول من نشر هذه السلسلة هو جعل للمعلومات العامة من تاريخ وأدب وفلسفة واجتماع وغير ذلك من العلوم والفنون سهلة قريبة في متناول الجميع ، اذ ان العلم ليس وقفا على افراد الخاصة والمتعلمين بل هو حق مباح للناس اجمعين .

ان روح العصر تتطلب السرعة والاقتصاد - الاقتصاد في الوقت والمال - ولا شك ان كثيرا من الناس - للثقفين منهم وغير المثقفين - يحجمون عن القراءة لان أوقاتهم لا تتسع لقراءة الكتب المطولة وجيوبهم لا تحتمل دفع ثمن الكتب الباهظة، ولذا يجد القارىء ان هذه السلسلة تمتاز بما يأتي :

(١) أننا نفرض ان الموضوع غريب عن القارىء بتاتا فنشرحه له بلغة سهلة شيقة خالية من العبارات العلمية البحتة ومغرية بالاستزادة .

(٢) ان كل رسالة تتناول موضوعا واحدا طريقا يكتبه اخصائى درس موضوعه درساً عميقا وفهمه فهما جيدا فيخرج القارىء من قراتها وهو لا يقل إحاطة بالموضوع - مهما كان غريبا عنه - عن كانت الرسالة خلاصة دراسته وعصاره افكاره .

(٣) ان هذه الرسائل زهيدة الثمن صغيرة الحجم يمكن أن توضع في الجيب ويستطيع القارىء أن يطلعها وهو في طريقه الى عمله او في أوقات فراغه .

(٤) أنها الى الثقافة النافذة سبيل صالح غير السبل المطروقة ولهاذا قرئت لاتطرح أرضا بل تقف الى مكتبة القارىء للمود اليها .

(٥) انها تستعين بالصور والخرائط لتوضح ماعناه ان يكون غامضا من المسائل .

(٦) انه في نهاية كل رسالة يجد القارئ قائمه باسماء عدة كتب عربية وأجنبية اذا أراد التوسع والاستزادة .

ان رياض العلوم ولغة المدى وازاهير الفنون يقصر عنها الطرف، وسنجد الثمار ونقطف الازهار وتقدمها الحين بعد الحين لقراء هذه اللغة الكريمة في جميع اصقاع العالم العربي .
ويسرنا ان تكون مصر مطلع هذا النور الجديد . وفننا الله الى مانسى فيه من خير ؟

المؤسسون

محمد مبروك نافع	توفيق حماد المرعشلى	زكى الرشيدي
ليسانسه المعلمين العليا	دكتور في الآداب	B.A. Leeds
في التربية والآداب		

منارة الاسكندرية

كانت الاسكندرية حاضرة مصر في عصر البطالسة -
بمتحفها ومكتبتها الجامعة - مدرسة للعالم انشأت ثقافة
جديدة وخطت بالانسانية خطوات واسعة .
من اجل ذلك اتخذنا منارتها شعارا لسلسلة الثقافة
العامة لتشير ابدًا الى ماكانت عليه مصر من مكانة عالية
في العلم والحضارة .

سلسلة الثقافة العامة - ١

على ضفاف النيل

في عصور الفراعنة

تأليف

محمد مبروك نافع

ليسانسيه المعلمين العليا في التربية والآداب



منارة الاسكندرية

تنشرها المكتبة الاهلية الجليلية

رقم ٦٥ شارع الفجالة بمطهر

الطبعة الاولى — يناير سنة ١٩٣٠

(دار الطباعة الاهلية ١٠ شارع نوبار بالقاهرة)

محتويات الكتاب

صحيفة

- (١) مصر في فجر التاريخ (٠٠٠٠ - ٣٤٠٠ ق.م) ٧
في ظلمات القرون الغابرة - في أفق المدينة ١٠
 - (٢) الدولة القديمة وبناء الأهرام (٣٤٠٠ ق.م - ٢١٦٠ ق.م) ١١
أول ملك في العالم - الأهرام معجزة البحر - بصيص من الديمقراطية ١٧
 - (٣) عهد الاقطاع والهكسوس (٢١٦٠ ق.م - ١٥٨٠ ق.م) ١٨
تجربة جديدة - نجاح وفشل - حرب الاستقلال ٢٩
 - (٤) امبراطورية الفراعنة (١٥٨٠ ق.م - ٣٣٢ ق.م) ٣٠
الفراعنة النظام - أول امبراطورية في العالم - طيبة المدينة الخالدة —
فلقة تضحي امبراطورية - جزومد ٥٤
 - (٥) الاسكندر والبطالسة والرومان (٣٣٢ ق.م - ٦٤٠ م) ٥٥
مصر الساحرة - البطالة المصريون - مصر تهزم ولا تنهض . ٦٢
-

(أيتها المصريون:

... أنكم أنبل الوارثين لا أقدم مدينة في الأرض ...)

معد زغلول

مقدمة

الماضى سجل حافل بالمفاخر والاختفاء ، والأأم التي تجهل
ماضيها لا تأمن العثرات في مستقبلها ، لكنها من دراسة تاريخها
تستخلص العبر من اخطائها الماضية وتستمد الوحي من
مجدها التليد .

من أجل ذلك أحاول في الصفحات التالية أن أرسم بالقلم
السريع صوراً استعرض بها حوادث التاريخ المصرى القديم
التي مثلت « على ضفاف النيل » ، في خلال سبعة آلاف
من السنين .

وأنى لأرجو أن أكون قد وفقت إلى وضع حجر في
بناء الثقافة العتيده .

محمد مبروك نافع

هليوبوليس في ديسمبر سنة ١٩٢٩

مصر في فجر التاريخ

في ظلمات القرون الغابرة :

أرجع البصر الى الوراء بضع عشرات من آلاف السنين
وتعال معى نبحول جولة سريعة فى أنحاء العالم .

أنظر .. هاهى أمريكا النائية لاتجد للانسان فيها أثراً .

وهاهى آسيا .. ماذا ترى ؟ أناس عرايا يروحون ويحيثون
يبحثون عما يأكلون من أعشاب وثمار وجذور ، أو يصطادون
الحيوانات ليأكلوا لحومها نيئة .

وتلك هى أوربا .. هل ترى كيف يغطى الجليد سطحها ؟
أنظر تلك المساحات الهائلة من الجليد تتحرك ببطء الى الجنوب .
أنها تقصف الأشجار الضخمة وتحطم الصخور العظيمة
وتكتسح أمامها آلاف العالمين .

تعال معى الآن الى أفريقية ... ها هو ذا نهر النيل . أنه ينساب من الجنوب الى البحر حيث تذوب كتل الثلج الاوربية الهائلة فلا تصل الى مصر . أنه ينحت طريقه وسط الهضاب . أنه يلتقى رواسبه على الجانبين . أنظر الى هذه الهضاب التى تحف الوادى . هل ترى سكانها كيف يصطادون الحيوانات ويجرون وراها فى كل ناحية . ها هم قد وصلوا الى الوادى وهبطوا اليه . لقد وجدوا فى الوادى حيوانات صيد بديعة . لقد استقروا فى الوادى وآثروا البقاء فيه . أن ورودهم يزداد على مر الاعوام . أتدرى من هم أولئك الصيادون الذين انتقلوا من الهضاب ؟ انهم أجدادنا معاصر المصريين . أما حكايتهم فسروها لك فى الصفحات التالية فى خلال سبعة الآلاف سنة الماضية ، ففى أقدم وأطول وأجمل حكاية رواها التاريخ .

فى أفق المدنية :

لما هبط أولئك الصيادون الوادى وجدوا الجو معتدلا

والتربة خصبة وشاهدوا كثيراً من الأشجار والنباتات ، فتركوا الصيد وبدؤوا يستلذون الخضرم استطاعوا في النهاية أن يستنبتوا القمح والشعير وغيرهما من النباتات في وقت لم يكن يعرف فيه انسان في الأرض عن الزراعة شيئاً ، واضطرتهم مهنة الزراعة التي احترفوها الى الاستعانة بالحيوانات فكانوا أول من استأنس الحيوانات في العالم .

وفي بادئ أمرهم كانوا يعيشون جماعات قليلة تعمل كل جماعة لنفسها ورأوا من المصلحة أن تشترك كل بضعة من هذه الجماعات في عمل واحد يعود عليها بالخير كحفر قناة أو درء خطر فنشأ من ذلك أول نظام اجتماعي شهده العالم وتكون من مدن الجماعات المتقاربة أقليم ذو حكومة واحدة .

أما أزمة الأمور في الأقاليم فكانت في أيدي رجال الكهنة وكبار الدين الملاك وكان لكل أقليم آلهة خاصة به عدا ما كان يعبد المصريون جميعاً من قوى الطبيعة كالشمس والقمر والنيل .

واتخذ كل أقليم علما خاصا عليه رمز ذلك الأقليم وعرف
المصريون كيف يركبون النيل وكانت سفنهم الشراعية تحمل
رمز الأقليم أيضا .

وكثيراً ما كان سكان الأقاليم المتجاورة يتحاربون فيتغلب
أقليم على آخر فيضمه إليه . وأسفرت نتيجة تلك الحروب عن
تكوين مملكتين عظيمتين أحدهما في الشمال وكان رمزها حزمة
من البردى والأخرى في الجنوب وكان رمزها زهرة الزنبق .



الدولة القديمة وعصر بناء الأهرام

أول مملكة في العالم :

وهناك في مملكة الجنوب حوالى سنة ٣٤٠٠ قبل ميلاد المسيح
 خطرت فكرة هائلة في رأس الجالس على العرش . زحف ذلك
 الملك من عاصمته طينة (على مقربة من جرجا الحالية) الى
 الشمال وماهى الامدة قصيرة حتى أخضع سكان الشمال فلبس التاجين
 ووحيد الوجهين وأصبح صوته مسموعاً من جنادل أسوان الى
 مصاب النيل . ذلك هو « مينا » رأس أسرات الفراعنة . ومؤسس
 أول مملكة أشرقت عليها شمس التاريخ في وقت كان كل سكان
 الأرض فيه يعيشون هملاً لا رابطة بينهم .

ولا تسل عما جره ذلك الاتحاد على مصر من خير فقد
 تقدمت العلوم والفنون في المملكة الأولى في العالم وترقت العبارة

و كثر تشييد المقابر والهياكل وانتظمت حركة التجارة والصناعة .
 ولم تكن مثل تلك الحكومة بما فيها من موظفين وجباة
 تستطيع أن تستغنى عن طريقة تضبط بها ميزانية الدولة ومقادير
 الضرائب فاضطرتهم الحاجة الى اختراع الكتابة فكان المصريون
 أول قوم ورثوا العالم تلك النعمة الكبرى التي حملها الفينيقيون
 بعد ذلك بآلاف السنين ونقلوها الى كل الشعوب .

ولمس المصريون منافع الوحدة الوطنية بأيديهم وكان همّ
 خلفاء «مينا» من ملوك الأسرتين الأولى والثانية هو تثبيت دعائمها
 والتمكين لها .

ولم يكن الناس حتى ذلك الوقت يعرفون البناء بالحجر حتى
 جاء «زوسر» من ملوك الأسرة الثالثة فأسس هرم سقارة المدرج
 الذى يعتبر أقدم بناء من الحجر في العالم .

وكثرت الأهرام في عهد الأسرات الثالثة والرابعة والخامسة
 والسادسة . أما الغرض من بنائها فكان حفظ أجساد الموتى لأن

المصريين القدماء كانوا يؤمنون باليوم الآخر وبالبعث بعد الموت غير أنهم كانوا يعتقدون أن الأجساد اذا فئيت عذبت الأرواح وقضى عليها فكانوا لذلك يعمدون الى تحنيط أجسادهم فينقعونها في ماء النطرون ثم يستخرجون الأحشاء والأمعاء ويحشون مكانها التوابل والعقاقير المختلفة ويصمغون الجلد عدة مرات ثم يلفونه بالأربطة ويودعون تلك الموميات (الأجساد المحنطة) بطون تلك القبور الهائلة حتى لا تصل اليها يد البعث أو الفناء .

الأهرام معجزة الدهر :

هلم نحاول التغلغل وسط ضباب ثمانية وأربعين قرنا لننظر « خوفو » مؤسس الأسرة الرابعة يبنى هرم الجيزة الأكبر .
 ها هو طريق طويل معبد بين الحجر وبين اثني عشر فدانا هي قاعدة الهرم . أنظر كيف يدحرج عشرات الآلاف من العمال الحجارة المنحوتة على أساطين من الخشب . أنهم يصلون الى مكان الهرم حيث يعمل البناءون . أنظر كيف يلصق البناءون

الحجارة المصقولة بواسطة تفرغ الهواء وكيف يشرف المهندسون على العمل . ها هوذا « رع » اله الشمس ينحدر الى الأفق وهام العمال يغربون معه الى ثكناتهم التي أعدها لهم الفرعون ليستيقظوا عند شروق « رع » ويبدؤامن جديد خدمة خوفوالاله الأصغر . أنظر ها هم العمال يروحون الى حقولهم في مبدأ الشتاء ليزرعوا الأرض . وهام يعودون الى العمل وقد غطى فيضان النيل الحقول . ان الهرم يعلو عاما بعد عام والعمال يهيلون حوله التراب ليدحرجوا فوقه الحجارة . لقد وصل البناءون الى القمة . أنهم الآن يطلون الهرم ببياض من المرمر المسحوق . أنهم يزيلون التراب ويطلون الهرم من أعلى الى أسفل . لقد مرت ثلاثون سنة منذ بدى في عمل الهرم . لقد تم بناء الهرم الآن .

ونحا « خفرع » و« منقرع » في بناء هرميهما الاوسط والا صغر نحو خوفو . فلا تصدق ما تقوله اليونان على خوفو وخفرع ومنقرع . أنهم ينقمون عليهم أدارتهم تلك الاعمال الفنية الهائلة .



التمثال من جنس الحجر الجيري، من عهد الأسرة الثامنة عشر، متحف
 في جنيف، المتحف. الرائع بما يدل على أن الفنون الجميلة وصلت في عهد
 بنات الأهرام إلى (عن تمثال بالمتحف المصري)

أنهم يحسدون المصريين على حذقهم فنون البناء والهندسة والطبيعة
والفلك التي استلزمها إقامة تلك الأهرام الهائلة . أليست هي
معجزة الدهر الخالدة ؟!

بصيص من الديمقراطية :

دعك من أن الأسرة الخامسة تدهورت في عهدها الملكية
وزاد نفوذ حكام المقاطعات واسمع ما يقوله « بتاح حتب » - أول
فيلسوف في العالم - مخاطبا الرؤساء والأمراء :

« إذا وليت أمر قوم فلا تتحكم في أعناقهم بظلم ولا تتسع في
سلب نعمتهم فإن الخير يذهب عنك بقدر ما تذهب عنهم
وإن عادلا فإن العدل يضمن لك الفوز في الحياة لأن له صولة
تدوم وتبقى في الأرض وإذا كنت رئيساً فتعامل من هم
أقل مرتبة منك برفق واعلم أن مرموسك هو من يساعدك وعضدك
وأن التشدد في معاملته يجعله يخونك ما يفيدك العلم به
أليست هذه بذور الديمقراطية ؟!

فان أبيت ألا برهاناً عملياً واعتبرت هذا مجرد كلام فهاهو «بيبي الأول» من ملوك الاسرة السادسة لم ير غضاضة في أن ينزل إلى صفوف العامة والأوساط المنحطة فيستخدم ذوى الكفايات منهم ويقللهم معظم مناصب الدولة الهامة التي كانت من قبل وفقاً على الكثرة والأمرأه . أليست هذه هي الديمقراطية الحماً ودماً ومعنى ، وان لم تكن لفظاً ؟

وخلف هذا الملك الديمقراطى «بيبي الثاني» الذى حكم مايزيد على ٩٠ سنة وهو أطول حكم حكمه ملك واحد فى التاريخ وقرب آخر أيامه استقل حكام المقاطعات وصاروا يتنازعون فيما بينهم وعادت مصر الى الانقسام الذى انقذها منه «ميناء» منذ الف سنة . وظل الانقسام تتبعه الفوضى مخيماً على مصر أيام الاسرتين السابعة والثامنة . وفى أيام الاسرتين التاسعة والعاشره انحصر النزاع بين مدينتى هرقليوبوليس (مكانها اهناسية) ومدينه طيبة (مكانها الاقصر) وانتهى هذا النزاع بسقوط هرقليوبوليس وانتصار طيبة .

- ٣ -

عهد الأقطاع والملكسوس

نُجربة جديدة :

لما انتصر امراء طيبة على هرقلو بوليس اخضعوا جميع مقاطعات
مضر لهم و وحدوا القطر من جديد .

غير أن تلك الوحدة تأسست على نظام جديد هو نظام
الأقطاع .

ويتلخص ذلك النظام في أن مصر قسمت الى عدة مقاطعات
يحكم كل مقاطعة أمير يكاد يكون فرعونا في مقاطعته يملك الارض
وما عليها . وكان الامراء يرثون الحكم عن آبائهم . ولم تكن
هناك رابطة تربطهم بالملك ألا دفع قدر من المال لخزينته كل عام
وأمداده بالجنود إذا احتاج الى ذلك . وكان الامراء بوجه عام
يشعرون بواجب الولاء للملك غير أنهم كانوا إذا استضعفوا

الملك يمتنعون عن دفع الضرائب ويحاربونه إذا أصر على أخذها ومن أجل ذلك كان الملوك يقيمون حرساً قائماً لحمايتهم وكان هذا أول عهد لمصر بالجيوش القائمة.

تحت هذا النظام خدم ملوك الاسرة الثانية عشرة - أشهر نجوم ذلك العصر الزاهرة - مصر خدمات جمّة .

فهذا « امنمحت الاول » يملأ جو البلاد رغداً وسكينة ويفتخر قائلاً : « لاجائع في مدتي ولا عطشان تحت سلطاني » . وهذا « اسرتسن الثالث » يغزو الشام ويخضع بلاد النوبة ويشيد القلاع لحمايتها عند نقطتي قة وسمنة ويحفر خليج « سيزوستريس » الذي كان يصل النيل بالبحر الاحمر .

وذلك هو « امنمحت الثالث » يرى بثاقب بصره ان الزراعة مصدر ثروة مصر الهام فيتخذ من اقليم الفيوم المنخفض خزان « موديس » تحفظ فيه المياه في اوقات الفيضان لينتفع بها وقت انخفاض النيل ويؤسس عند مدخل الخزان قصر لا يبرته العجيب .

نجاح وفشل :

لنشرح الطرف الآن في بعض البلاد أيام الدولة الوسطى :
 ها هو ذا أحد الأمراء الاقطاعيين يشتغل بنحت قبره في جانب
 الجبل . انظر أليس قبره هذا رشيقا ؟ وكم ينفق الصانع من حذق
 ومهارة في تجميله وزخرفته . وها هو ذا قصر أمير آخر على ضفاف
 النيل انظر ، الى الحدائق الغناء والى طيور الماء تأوى اليه هادئة .
 تعال معى نتبع احدى بعثات التجار التى كان يبعثها امراء الإقطاع في
 ذلك الوقت السحيق . انظر ها هي جمهرة كبيرة من السفن . انها تبرح
 مياه الأمير . أن الملاحين ينشدون ويغنون والمراكب تسير بهم
 الى الجنوب . انظر ها هم قد وصلوا الى جنادل أسوان . انهم
 يخترقون القناة التى حفرها « اسرتسن الثالث » في حجر الجرانيت
 ليتجنبوا الجنادل . ها هم يتوغلون فى اواسط السودان . انهم
 يتابعون للأمير من بلاد النوبة وبلاد بنت (السومال وعدن)
 ريش النعام وسن الفيل والعطور والطيوب . ها هم يعودون وقد

وصفوا رحلاتهم في قصص طويلة مسلية. هل ترى كيف يقرؤها
الناس بشوق ويدرسها الطلبة في المدارس ؟

ان أمثال هذه الرحلات البرية والبحرية التي كانت تتوغل
في الجنوب حتى تصل إلى المحيط الهندي (آخر حد للعالم)
وتتوغل في الشمال حتى تدرك بلاد فلسطين وفينيقيا ولبنان
وجزائر اليونان واليونان نفسها والتي كان يدون أخبارها ويصفها
الربابيين ومن معهم من الأدباء هي أساس الأدب المصري القديم
الذي كان يتميز به عصر الاقطاع كما كان يتميز عصر الدولة القديمة
بالأبنية الضخمة كالأهرام . لقد وضعت في ذلك العهد جملة
صالحة من الأناشيد والأشعار كما ألقت أول رواية تمثيلية في
العالم وهي «دrame اوز وريس» أول الله سكن مصر التي صورت
فيها حياة «أوز وريس» ومماته ودفنه وبعثه والتي كانت تمثل كل
عام فيشترك في تمثيلها عدد عظيم من الناس . كذلك تقدم علم
الطب والعلاج ولا تزال بعض الأدوية والمعالجات التي كان

يصفها الاطباء المصريون قديما لمرضاهم في تذاكرهم الطبية (الروشتات) كزيت الخروج والحجامة والسكى تستعمل الى وقتنا هذا . وتقدمت في هذا العهد أيضاً العلوم الرياضية والفلكية فألفت كتب في الحساب على النظام العشري الذى لا يزال مستعملاً إلى الآن كما وضعت مبادئ الهندسة والجبر واخترعت الآلات بسيطة لرصد الاجرام السماوية .

وترقت الإدارة الحكومية فكان يعمل كل بضع سنين إحصاء يعتمد عليه في جباية الضرائب كما أنشأ « امنمحت الثالث » مقياساً للنيل عن حصن سمته (الشلال الثانى) لينبئ بحالة الفيضان لكى تتناسب الضرائب مع مقدار الفيضان . ولقد اقيمت في هذا العصر السدود والخزانات فأخصب خزان بحيرة « مورييس » الذى أنشأه امنمحت الثالث ما يقرب من ٢٧ الف فدان من اقليم الفيوم وحده فكانت الحكومة منذ ٤٠٠٠ سنة تفكر فيما يشغل بال الحكومات في وقتنا هذا .

وكان لمصر أسطول ضخم وصل الى جزائر اليونان واستولى على كريد وغيرها من الجزائر وكانت السفن المصرية تأتي من بحر ايجيه فتدخل أحد فروع النيل ثم تسير الى ان تصل الى قناة «سيزوستريس» الى البحر الاحمر الى بلاد بنت الى المحيط الهندي الذي كان يعتبره المصريون آخر حد للعالم.

ولم يهمل المصريون الصناعة في هذا العصر فخذوا صياغة الحلي الدقيقة ونظرة واحدة الى قاعة الذهب في المتحف المصري تترك الانسان حائرا من جمال ما يرى. أما مباني هذا العصر فكانت تمتاز بالدقة والتناسق وحسن الذوق والجمال والرشاقة على عكس مباني الدولة القديمة التي كانت تمتاز بالضخامة والعظم. تلك كانت الحال أيام الأسرة الثانية عشرة نجاح على طول الطريق. فاذا كنا في أيام الأسرة الثالثة عشرة - ذلك الرقم المشؤم - اذا بذلك النظام الهائل ينقض وأذا بنجاح عهد الاقطاع يتبدل فشلا واذا بالأمراء وحكام المقاطعات يستقلون ويغيرون على مقاطعات

جيرانهم يتغنون الوصول الى مصر بأسرها . ولم تكن مصر يدون
 اعداء في ذلك الوقت فلقد كانت تتكون في الشمال الشرقي من
 حدودها اذ ذاك دولة جديدة وكانت حالة مصر التبعة تشجع
 أى دولة على غزو البلاد الأمر الذى تم بكل أسف في أواخر
 الاسرة ١٣ المشثومة اذ بدأ الهكسوس الاسيويون يغيرون
 على مصر .

ولسنا نعلم عن الهكسوس أو الملوك الرعاة اكثر من أنهم شعب
 سامى الاصل شجعته انقسامات مصر على الدخول فهبطوا
 الوادى المقدس عن طريق برزخ السويس واستطاعوا أن
 يجتاحوا الوجه البحرى وبعض أقاليم الوجه القبلى بدون عناء
 كبير وساعدهم على التمكن من مصر بعض الزعانف من أمراء
 المصريين الذين يعبدون السلطة حيثما ظهرت وكان حكم هؤلاء
 الأجانب اشد ما يكون بغضا الى المصريين لالأنهم عاملوا
 المصريين بقسوة وفضاظة ولالأنهم حطموا الهياكل والمعابد

فحسب بل لأن عهدهم كان في مصر أول حكم اجنبي عليها .
غير ان الهكسوس ابتلعتهم المدنية المصرية فلم يلبثوا بعد ان
كانوا هممجا حتى تمصروا واندجوا في المصريين وقلدوا أنماطهم وعبدوا
آلهة مصر ولكن على الرغم من ذلك لم يغفر لهم المصريون جرم
قتلهم لبلادهم فكانوا يلقبونهم بالهملج والرعاة والكفرة احتقارا
لهم وخطأ من شأنهم .

وقر الهكسوس في مصر أيام الأسرات ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧
زمننا اختلف المؤرخون في تقديره من قرنين الى خمسة قرون
كانوا يحكمون مصر أما مباشرة من عاصمتهم افاريس (في برزخ
السويس) أو بوانطة ولاية أو ملوك من المصريين يحكمون
باسم الهكسوس .

وغير الهكسوس أساليبهم العتيقة في حكم البلاد ولكن ذلك
لم يغير من قلوب المصريين نحوهم .

وقرب آخر أيامهم استطاعت عدة ولايات في الوجه القبلي

أن تنفصل عن الهكسوس وكانت أهم هذه الولايات طيبة التي بدأ امراؤها أو ملوكها يشقون عصا الطاعة على الهكسوس ويجابونهم بالعداء وما زالوا في حروب مستمرة معهم حتى تم طردهم على يد «أحمس» مؤسس الأسرة ١٨ .

حرب الاستقلال :

لم يبدأ هذه الحرب «أحمس» بل بدأها ثلاثة «سكنن رع الاول» ملك طيبة و«سكنن رع الثاني» و«سكنن رع الثالث» وفي عهد هذا الأخير كان ملك الهكسوس الذي يحكم من افاريس هو «ابابي» وقامت بين هذا الملك المغتصب وبين «سكنن رع» حرب لا نعلم من تفاصيلها سوى أن البطل «سكنن رع» مات فيها . فليسجل له التاريخ مجد الدفاع عن الوطن . (١)

(١) الناظر إلى مومياء سكنن رع الثالث في متحف القاهرة يرى آثار الجروح الفظيمة التي أصابت رأس ذلك الملك الشجاع المقدام فإن جبهته قد شجت بضربة بلطة ولا يزال الشعر ملبدا بالدم حول الشج وأصابت بلطة أخرى الجمجمة فوق العين فبرز بسببها المخ . وترى في الخد وخزة من سن سيف . وترى الألم يلذبا على وجه المومياء . وقد ضغط الملك بأسنانه على لسانه حتى خرقه .

ونجح «كاموز» بن «سكنن رع» في طرد الهكسوس من الوجه القبلي حتى مدينة منف تاركا لاختيه «أحمس» مهمة إجلاء الهكسوس عن مصر تماما .

لقد كانت مهمة «أحمس» من أشق المهام . لقد كان فرضا عليه أن يطوى الامراء تحت جناحيه . لقد رأى من حسن السياسة أن يضمن الحالة في الجنوب في حرب قد تستبقيه أعواماً طوالاً في الشمال فتزوج من ابنة ملك اثيوبيا الذي أمده بجيش من جنوده الاشداء . لم يكد «أحمس» يبدأ بالزحف الى الشمال حتى كانت جماهير المتطوعين من المصريين تتدفق الى جيشه لتخلص البلاد من الاعداء . لقد اضطر «أحمس» الى ارجاع الجنود الاثيوبيين حتى لا يشاك المصريين أحد في فخر استرجاع الاستقلال . ها هو ذا الجيش يسير الى الشمال ولواء البر معقود «لاحمس بنحب» ولواء الاسطول معقود «لاحمس بن أبانا» والقيادة العامة للجيش والاسطول لجلالة الملك «أحمس» سار الاحاميس الثلاثة حتى وصلوا عاصمة

المغتصبين — وكانت تحوطها قناة متصلة بأحد فروع النيل — وحاصروا مدينة « أفاريس » يعضدهم الرأي العام المصرى . ولم يفت فى عضدهم خيانة الخائنين ودعاة الهزيمة الذين اضطروا «أحمس» لفك الحصار والعودة الى الجنوب لانخاد تلك الثورات عدة مرات .

وأخيرا أسقط فى يد الهكسوس وقعت « افاريس » فى يد المصريين الذين عمدوا اليها فدكوها دكا واقتلعوا الاحجار من أساسها حتى لا يبقى شئ يذكرهم بذلك العصر المنحوس . وولى الهكسوس الادبار لا ليعودوا من حيث أتوا ولكن ليتحصنوا فى عدة حصون كانوا قد أقاموها على الطريق الشرقى وكانت الهكسوس يستبسلون فى الدفاع عن هذه الحصون وكان «أحمس» يقتلهم اقتلاعا من الحصن بعد الحصن حتى تم جلاؤهم عن الحدود وغابوا عن نظر أحمس فتحقق وتم الاستقلال .

ولم يقنع «أحمس» — محرر مصر — بهذا بل توغل وراء

الهكسوس في فلسطين وسوريا . وهناك رأيت عيون المصريين بلاداً
غير بلادهم وتفتحت لغير ما عهدوه في مصر فدفعهم النجاح في
طرد الهكسوس الى محاربة هذه البلاد وضمها الى مصر ففتح
«احمس» بلاد فلسطين ووضع بذلك الحجر الاول في بناء
الإمبراطورية المصرية الشامخ الذي اتمه اخلافه ملوك الاسرة ١٨ .

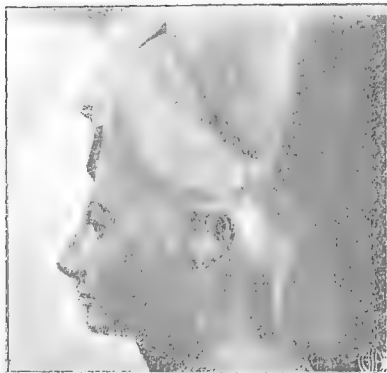
- ٤ -

امبراطورية الفراعنة

الفراعنة العظام :

ويعود أحس إلى مصر ظافراً منتصراً فإذا الأمة تخرج إلى استقباله وأذا المظاهر الباهرة والاحتفالات الساهرة تملأ ربوع البلاد . ويعلو شأن طيبة التي انجبت البطل أحس ويذيع نفوذ الهبا « آمون » الذي باسمه طرد الهكسوس وفتحت الاقاليم الجديدة . ويضرب « أحس » نظام الاقطاع الفاشل الضربة القاضية فيركز كل السلطة في يده ويجعل كل الاراضي ملكاً خاصاً له وتشهد مصر أذذاك أقوى حكومة مركزية في تاريخها . ثم ينصت العالم وتكلم مصر ويسجل التاريخ .

هذا هو « امنوفيس الاول » يفتح بلاد سوريا ويغزو بلاد لوية في الغرب . وهذا هو « تحتموس الاول » يعود من حرب



تمثال الاميرة اطور الاعظم . تخموس الثالث . من الاسرة ١٨ الذي لقبه المؤرخ الامريكي
بريستيد بنابليون مصر .

(عن الطبعة ١٤ من دائرة المعارف البريطانية)

النوبة حاملا على مقدمة سفينته جثه أحد الزعماء النوبيين مدلاة من رجلها وينصرف بالاسطول إلى فينيقيا ثم يتوغل في أعالي الفرات فيدون أخبار انتصاره على لوحة هناك .

وتلك هي الملكة « حتشبسيوت » - أقوى ملكات مصر - تكشف بحذقها ونفوذ حزب المحافظين المصريين (حرب الوراثة الشرعية) كيان اخويها تحتموس الثاني والثالث فتزيا بزي الرجال وتخطب بلقب صاحب الجلالة وتبعث بحملة الى بلاد بنت تعود سفنها بحملة بالتوابل والعطور والنسائيس والزراف وریش النعام فتدون اخبارها على معبدها الدير البحرى .

وينفرد « تحتموس الثالث » بالحكم فاذا بالفتى الذى خبأت عبقريته حتشبسيوت يصبح امبراطور مصر الاعظم فيدوخ ملك « قادش » وأحلافه فى معركة « مجدو » ويروح ويغدو إلى أسيا سبع عشرة مرة تقع فيها اسيا تحت قدميه ويتزلف اليه ملوك آشور وبابل والحيتيين والميتاني فيقدمون له الخضوع ويحملون

اليه الجزية فيوفرون عليه مشقة الحرب وأذا بأسطوله يحتاج
سواحل فينقيا وآسيا الصغرى وقبرص وكريد ورودرس وغيرها
من جزائر البحر وإذا بالامبراطور الاعظم وهو في السبعين من
عمره لا يعرف الراحة فيقود حملة إلى بلاد النوبة ويتوغل بها في
مجاهل السودان . والمراسلون الحريون في كل حروبه — كما
تفعل ارقى الجيوش الآن — يده نون يوما بيوم وبالتفصيل
حوادث الحرب والفتح .

كذلك كنت أول امبراطورية في الارض .

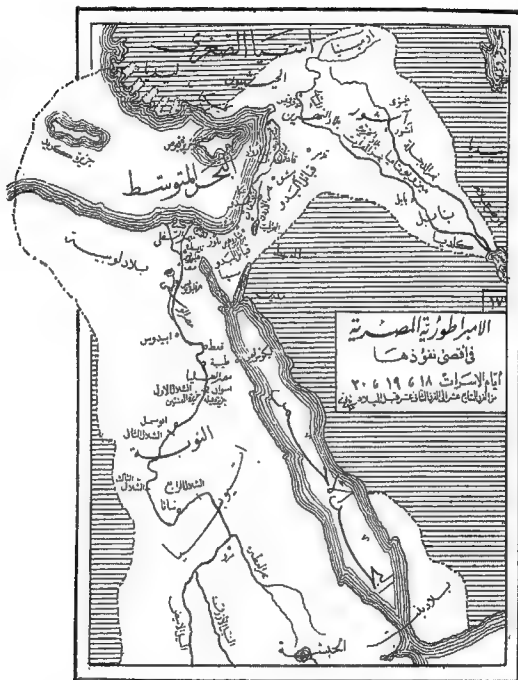
أول امبراطورية في العالم :

ولقد كان تأسيس هذه الامبراطورية خلقاً جديداً لمصر
اذ تغيرت الحالة من جميع النواحي وأصبحت الدولة حرية بكل
معاني الكلمة وصارت الجندية هي الطريق الوحيد لكسب المال
والشرف حتى ان أحقر حقير — حتى العبد — كان يأمل بانضمامه
الى الجيش في الوصول الى أرقى مناصب الدولة .

وكان في مصر طول عهد الامبراطوريه ثلاثة أحزاب قوية:
 حزب الكهنة والحزب العسكري وحزب المحافظين (أو حزب
 الوراثة الشرعية) وكانت هذه الأحزاب تدفع مرشحها لا إلى
 البرلمان ولكن إلى العرش فحزب المحافظين كان يرى ضرورة
 أن يرث الابن الشرعي أباه في العرش وكان هذا الحزب يعضد
 وراثته « حتشبسيوت » لأنها في العرش بينما كان يعضد حزب
 الجيش « تحتموس الثاني » وحزب الكهنة « تحتموس الثالث »
 لأنه قضى حياته الأولى في المعبد .

وفي عهد الامبراطورية كانت الحكومة متمركزة في يد
 الملك أو الامبراطور يساعده في تدبير شئون الدولة صاحب
 الخزائن (وزير المالية) ووزيران آخران يقيم أحدهما في
 مدينة هليوبوليس والآخر في مدينة طيبة .

وكانت مهمة الوزير في طيبة منحصرة في إدارة دخل الملك
 وفي الاشراف على الضرائب وجزية المستعمرات والقضاء بين



الامبراطورية المصرية في اقصى حدودها أيام الاسرات ١٨ و ١٩ و ٢٠
 (مصفوفة عن الجزء الاول من الاطلس الجغرافى التاريخى، للؤلف والاساتذ الرشىدى)

الناس والاحتفاظ بسجلات الدولة .

وكانت المحاكم منتشرة في أهم مدائن الدولة يحكم فيها قضاة يعينهم الوزير بأمر الملك ويستطيع المتقاضون فيها ان يستأنفوا الأحكام إلى الوزير في طيبة الذي كان مكتبه يعتبر محكمة استئناف عليا لكل محاكم القطر . وكانت محكمة الوزير في طيبة تكفل العدالة لكل انسان ولم يكن حتى المتآمرون على حياة الملك يعاقبون بطريقة تعسفية بل كانوا يقدمون الى المحكمة .

وكثيراً ما كان يجوب الوزير انحاء القطر متفقداً حالة الجيش والاسطول والحصون على الحدود وحالة الري والزراعة والغابات وشئون المعابد وأرصعة المواقي .

وكانت طريقة الحكم في عهد الامبراطورية تشبه الطرق المستعملة في عصرنا هذا فكانت البلاد المجاورة لمصر كفلسطين تخضع للحكومة المركزية . أما في بلاد سوريا وقبرص وكزيد فكان الأمراء الوطنيون يحكمون بلادهم وكان الامبراطور

يعين مع كل ملك موظفا ساميا مصرية له الأمر والكلمة العليا وعلى الأمراء الطاعة والتنفيذ وكان هؤلاء الموظفون المصريون يشرفون على جباية الضرائب تعضدهم حامية مصرية وكان أبناء الأمراء يعيشون الى مصر ليكونوا رهائن على سلوك آبائهم وليتعلوا على النظم المصرية حتى اذا ما آل اليهم الملك خدموا الامبراطورية خدمة صادقة. أما البلاد البعيدة فكانت تبعث الى مصر هدايا بانتظام ربما فاقت جزية المستعمرات الاخرى.

طيبة المدينة الخالدة:

وكانت طيبة المدينة الخالدة مركز ذلك الملك الشاسع وكان النيل يفصلها الى قسمين: طيبة الغربية وطيبة الشرقية. فأما الاولى فكانت تسمى مدينة الاموات يكتنفها من الغرب واديان عظيمان هما وادي الملوك والملكات اللذان نحت ملوك وملكات الامبراطورية قبورهم فيهما على شكل سراديب تنحدر في باطن الجبل عشرات الامتار وتنتهى بردهات وحجر يوضع في

أقصاها وأبعدها غورا تابوب الملك. وبين «بيان» الملوك والملكات ونهر النيل تقع عدة معابد جنائزية كان الغرض من بنائها أن يصلى فيها على أرواح الموتى وإن تقدم القرايين للآلهة لكي يسهل على الفراعنة اجتياز العالم السفلي حتى يصلوا إلى ملكوت «اوزوريس» حيث يزن الإله «انويس» أعمالهم في الميزان ويقيد الإله «توت» نتيجة الميزان ثم يقدم الإله «حوريس» من ثقلت موازينه إلى حظيرة «اوزوريس» كبير الآلهة ليدخله جنة الآخرة، وأما من خفت موازينه فتتلقفه آلهة كالوحوش الكاسرة. تلك هي طيبة الغرية مدينة الأموات.

أما طيبة الشرقية فكانت مدينة الأحياء وكانت عامرة بقصور الملوك والأمراء وغاصة بمساكن الطيبين ومعابد الآلهة وبخاصة «آمون» إله طيبة وزوجته الآلهة «موت» وابنتهما الإله «خنسو».

فلنرجع القهقري بالخيال إلى عصر «امنوفيس الثالث»

(الاسرة ١٨) لنرى طيبة فى أزهى عصورها .

هاهنا قصر فرعون على ضفة النيل تحيط به الاشجار الجميلة
وتحفه المهابة والوقار ويملا ساحة الحرس الاشداء . وهاهى ذى
قصور الامراء والوزراء تكتنفها الحدائق الغناء وتسبح فى بحيرات
الصناعية خفاف القوارب والاسماك . وهذا هو معبد الاقصر قد
صفحت اراضيه بالواح الفضة وزخرفت نقوش جدرانها بالذهب
وأكرم الاحجار ، واكتظت تحت وهج الشمس فى ساحة الخارجية
الآف الخلق من رجال ونساء يقدمون القرابين على مذبح الاله .
وهذا كاهن يلبس على كتفه جلد النمر يخترق صفوف الامراء
والعظماء من اقصى ساحات المعبد المظلمة حيث قدس الاقداس
ليهب بالناس أن انصتوا لتروا معجزة الاله .

وهذا طريق الكباش الرابضة يودى الى معابد الكرنك
حيث البحيرة المقدسة وحيث يضل السائر فى ساحاتها الشاسعة

بين آجام الاعمدة الزاهية وشواخ المسلات .

وهذا رهط من الريفيات يردن المدينة: تلك تحمل على رأسها جرة فيها نبيذ وهذه تتأبط حزمة من غزل الكتان وتلك تسوق وقيرا من الغنم وهذه تبحث عن حانوت الكحال وتلك ترتاد ناحية النجاد . وبيننا المدينة في حركة أذا فجأة يهرول جماعة من جند القصر الملكي من ناحية المعبد يهتفون بالناس ان افسحوا الطريق، ثم تمر أميرة من بنات فرعون يحملها عبيدها السود على محفة غاية في الرواء فيحييها الناس برفع ايديهم وبالانحناء .

وفي إحدى ميادين العاصمة ترى قبلا من رجال و نساء وأطفال يلبسون ثياباً مختلفة الازياء ويتكلمون بعدة لغات وقد وقف في وسطهم فيال تقفز على ظهر فيله الضخم القردة والنسائيس فيتفكك بمرآها الناس .

ثم ترى حشدا من الناس يزدحمون بالمناكب عند أرصفة طيبة ليروا السفن الآتية من الجنوب والشمال تحمل الجزية لفرعون

واسرى المستعمرات ، فيسر الناس لرؤية الغنى يتدفق الى بلادهم
والاسرى مكبلين بالاغلال والاصفاد يساقون الى الخدمة في
الحقول وأقامة المعابد « لآمون رع » مصدر الخيرات . وترى
الرسامين يصورون أولئك الاسرى التعساء صورا كاريكاتورية
على قطع من الخشب « كالكارت بوستال » يبتاعها الناس
ويتفكهون بالضحك عليها .

ذلك كان مرآى الحياة في طيبة منذ ثلاثة آلاف وثلاثمائة
عام عندما كان الامبراطور امنوفيس الثالث أعظم رجل في العالم.
فلسفة تضحى أمبراطورية :

فاذا كنا في أيام « امنوفيس الرابع » ابن « امنوفيس الثالث » اذا
برجة هائلة تزلزل عقائد الناس وتهز دعائم الامبراطورية المتينة .
ولم تكن امبراطورية كأمبراطورية « امنوفيس الثالث » تخلو
من أعداء يعيشون في كنفها والدول في عنفوانها تحتاج الى اليقظة

أكثر من أى وقت آخر، وقد كان يتأخم الامبراطورية من جميع النواحي أعداء في الباطن أصدقاء في الظاهر يريدون لها الواقعة ويتربصون بها الدوائر فدولتنا الميتاف والحيشين كانتا تتأخمان الامبراطورية من الشمال وقبائل البدو الخبيرى من ناحية فلسطين واللويون من الغرب والاتيويون من الجنوب. ولم يكد « امنوفيس الرابع » يتولى العرش حتى أثار حربا عواناً على الآلهة وأخذ يدعو الى عبادة الهه الجديد « آتون » واذا به يغير اسمه من امنوفيس الذى يحوى كلمة آمون الى « اخناتون » ومعناها « روح آتون » ثم يأمر فتخلق معابد آمون وتضطهد كهنته وتمحى لفظة الالهة بصيغة الجمع من المعابد ويحمل الناس على عبادة « آتون » الآله الخفى الواحد الصمد الذى لا يلبس والذى لا شكل له والموجود فى كل مكان والمحرك لتلك القوة الهائلة المستقرة فى الشمس التى تنبت الزرع وتضىء العالم والرفيق الرحيم والذى يمنح الخيرات ويكره الحروب ويسر لمساعدة الناس.

وأغضب كهنة آمون ذوو النفوذ العريض والمال العديد
 لدعوة التوحيد الجديدة فأثاروا الشعب على « اخناتون » . ويرى
 « اخناتون » ان طيبة وهي ملاءم بمعايد « آمون » لاتصلح لدعايته
 الجديدة فيبنى له مدينة جديدة عند تل العمارنة الحالى تسمى « اخيتاتون »
 (ومعناها افق آتون) وينقل اليها ملكه ثم يملأها بالمعابد
 والقصور لالهة الجديد ويحتم على الرسامين والمثاليين ان تكون صورهم
 وتمثيلهم طبق الأصل من الطبيعة لا تجميل فيها ولا تزويق .
 حقاً لقد كان « اخناتون » أول فيلسوف فى العالم دعا الى
 الحق والهدى . وكانت صحبته أول صحبة بالوحدانية فى وقت
 كانت الوثنية فيه فى حصنها الحصين . ولكن العالم اذذاك لم
 يكن مستعداً لاجابة مثل هذه الدعوة وجاء نبى الفراعنة قبل اوانه
 بعشرات القرون .

وأدرك أعداء مصر أن فرعون قد انقلب قديساً نيباً فأغاروا
 على أملاك الامبراطورية فى الشمال ويسجل التاريخ أخلاص

الموظفين المصريين في هذه الناحية فقد بحت أصواتهم من طلب النجدة وترقب الأوامر من طيبة ولكن « اخناتون »، لم يكثر لعرض الدنيا وركز جهوده وعبقريته لخدمة دينه الجديد . وبلغ السيل الزبا فامتعت المستعمرات عن دفع الجزية ولكن « اخناتون »، لم يتحرك .

وأخيرا مات « اخناتون » تاركا وراءه ظلالا ضعيفا لامبراطورية كانت بالأمس عظيمة وخزائن خاوية ولخلفه من بعده كهنة ثالرين يرغبون في الانتقام وجيشا غاضبا وشعبا حائقا .

ولم ينجب « اخناتون » ذكورا فتولى من بعده « سكارع » زوج ابنته ولم يكن حكمه مهماً ثم تلاه « توت عنخ آتون »، زوج ابنته الأخرى فكان في مبدى حكمه مخلصا لآتون ثم لم يلبث أن طواه الكهنة فاذا به يبرح مع بلاطه « اخناتون » ثم يعود الى طيبة فيصدر أمراً بأعادة عبادة آمون ثم يغير اسمه من « توت عنخ آتون » الى « توت عنخ آمون »، ويأخذ في اصلاح معابد « آمون » التي خربها حموه



الملك ، اخناتون ، الملقب بنى الفراعنة وزوجه الملكة « نفرتيتى » .

(عن نقش فى جدار بتل العمارنة)

ثم يملؤها بتماثيل الآلهة الذهبية ثم يبالغ في مرضاة كهنة آمون فيجزل لهم العطايا ويعيد النظام القديم بحذافيه .
وهكذا يتم فشل « اخناتون » وبفكرة فلسفية سامية تضع أولى امبراطوريات العالم .

مد وجزر

ثم تسقط الأسرة الثامنة عشرة بعد وفاة « توت عنخ آمون » بقليل ويؤسس « حرمحاب » الأسرة التاسعة عشرة وإذا بسيتي الأول يحاول أن يسترد امبراطورية « تحتموس الثالث » فلا ينجح الا في استرداد فلسطين لان الحيثيين من سكان آسيا الصغرى الذين بدأوا الغارة على المستعمرات المصرية أيام الفيلسوف « اخناتون » كانت قد رسخت قد مهم في سوريا .

ويأتى دور « رمسيس الثاني » — أشهر فراعنة مصر — وإذا به يحاول أن يسترد من جديد امبراطورية « تحتموس الثالث » فيصيب القصد ولكن يخطؤه التوفيق ويرضى — بعد حروب عدة وبعد

انتصاره على الحيثيين وحلفائهم في معركة «قادش» التي أظهر فيها شجاعة نادرة خللت اسمه في سجل الشجعان في العالم - أن يقنع من انتصاراته العديدة بمعاهدة هجومية دفاعية بينه وبين ملك الحيثيين يلقب فيها بملك مصر الأكبر بيننا حليفه «ختاسار» يلقب بأمر الحيثيين. ولكن المعاهدة لا ترد لمصر الا فلسطين. ثم يتزوج «رمسيس» من ابنة ملك الحيثيين ولا تروى الحروب غلته في طفله غروره بأقامة التماثيل والمعابد ينقش على جدرانها قصائد شاعره «بنتامور» في تمجيده ووصف معركة «قادش» أهم معارك رمسيس. ويستبطن النحاتين والمثالين في صنع تماثيله الهائلة العديدة فيضحون الفن في سبيل الكثرة ولا يكتفى بهذا، فيمحون أسماء أسلافه من على تماثيلهم ومعابدهم ويضعون بدلها اسم «رمسيس». الا تتفق معي على أن رمسيس كان أعظم غشاش في التاريخ ؟ ثم يموت «رمسيس» وقد نيف عمره على قرن تاركا وراءه عدة زوجات و ١١١ ولداً و ٥١ بنتا لابنه العجوز «منفتاح».

وتثور فلسطين في عهد «منفتاح» فيخضعها ويعود ليخضع من
أغاروا على الدلتا من اللوبيين وسكان جزائر البحر الأبيض
المتوسط وربما كان «منفتاح» هذا هو فرعون موسى الذي
خرج في عهده بنو إسرائيل من مصر.

ويعود اللوبيون الى الغارة على مصر مرة ثانية فيهمزهم
«رمسيس الثالث» من الأسرة العشرين.

ويقوى نفوذ الكهنة فيتخذون من الرماسة بقية ملوك
الأسرة العشرين ألاعيب يفعلون ما يؤمرون.

ويقفز «حرحور» رئيس الكهنة الى عرش مصر فيكون
أسرة من الكهنة هي الأسرة الحادية والعشرون تفقد مصر في
عهد طاورسينا وفلسطين.

ويشاء القدر الساخر أن يجلس على عرش مصر «شيشنق»
الأول ملك اللوبيين فيتخذ من مدينة بوبسطة (تل بسطة عند
الزقازيق) عاصمة للأسرة الثانية والعشرين.

وتتحرك دماء الفراعنة في « بعنخى » فيخرج من بلاد النوبة
المتحصنة منذ مئات السنين فيستولى على منف ويكون كهنة آمون
الأثرياء بسلطانه الأسرة الثالثة والعشرين .

ويستقل بالوجه البحرى أمير سايس (صالحجر) الملك
« بنخوريس » فيؤسس الأسرة الرابعة والعشرين بينما يظل
الوجه القبلى تحت حكم النوبيين المصريين .

وتتطلع من أقصى الشرق عيون الاشوريين الى مصرفيهمون
المصريين بمساعدة أهل الشام الثائرين فيستولى على الدلتا
« اسرحدون » ملك الاشوريين ويؤسس الأسرة الخامسة والعشرين .
ويستجمع الملك « طهراقه » في الجنوب قوته ويطرد الاشوريين
فيعودون بعد حين ويدمر ملكهم « اشوربانيال » طيبة الخالدة
مدينة آمون .

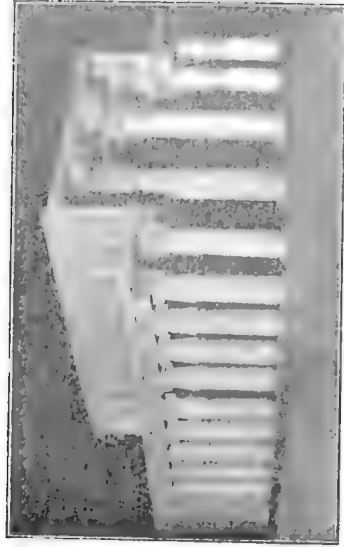
وتظل الحرب سجالا بين النوبيين والاشوريين كل يريد
الاحتفاظ بمصر فيغتنم الفرصة أمراء الدلتا المصريون ويقومون

بمساعدة المرتزقة من جنود الاغريق فيطردون هؤلاء الى الشمال
واولئك الى الجنوب ويستقلون بمصر مكونين الاسرة السادسة
والعشرين .

ويعيد فراغة هذا الاسرة العظام ايسماتيك ونيخاو وأبريس
الى مصر استقلاها المسلوب وزهاء مجدها القديم :
فيجمع « ايسماتيك » للدفاع عن استقلال البلاد جيشاً من
مرتزقة الاغريق .

ويقوى « نيخاو » الجيش والاسطول فيفتح بهما فلسطين
وسوريا ويتوغل في العراق ثم يوصل البحرين الابيض بالاحمر
عن طريق النيل ويبعث أول بعثة استكشافية في العالم قطوف
حول أفريقية وتم رحلتها في ثلاث سنين.

ويفتح « أبريس » سواجل فينيقيا بأسطوله الضخم وتملاً
صفحة مصر بمعايد ضخمة كمعايد العهد القديم . ويشد ميله الى
الأجانب وبخاصة الاغريق فيثور عليه المصريون ويولون مكانه



هو الأعمدة في عصر زخاته في معبد آمون الكبير بالكرنك .
(عن عجائب الماضي للإستاذ هلمرتن)

قائد جيشه «أحمس» أو «أماسيس» .

ويتبع «أحمس الثاني» سياسة «أبريس» حتى أنه يقطع الاغريق أرضاً في غرب الدلتا يؤسسون عليها مدينة نقراطيس .

ثم يرى «أحمس الثاني» من وراء الاتفاق بزوغ نجم الفرس فيتحد مع البابليين والليديين ليقم منهم سدا يحمى استقلال مصر ويخونه التقدير فيكتسح الفرس البلاد في عهد خلفه ويدخل مصر الطاغية «قمبز» محطاً مغرباً ويكون لأخلافه الأسرة السابعة والعشرين .

ويثور المصريون على الفرس عدة مرات فيغلبون ويغلبون ويسجل التاريخ اسم الأمير المصري «أناروس» الذي ثار بمساعدة الاغريق على الحكم الفارسي فاتصر أولاً ثم صلب أخيراً واسم الأمير المصري «امرتوس» الذي يحدد الثورة ويستطيع أن يعلن استقلال البلاد فيزورها المؤرخ اليوناني «هيرودوت» في ذلك العهد المستقل ويكتب تاريخها المجيد .

ويعود الفرس فيهزمون المصريين . ثم تقوم حماسة الشعب تحت قيادة «امرتوس» آخر فيطررد الفرس ويؤسس الاسرة الثامنة والعشرين .

وتتمتع مصر بعهد استقلال في ظل هذه الاسرة والاسرة التي تلتها وهي الاسرة التاسعة والعشرون ويحسن حالها وتستعيد شيئاً من رخائها .

فاذا كانت أيام الاسرة الثلاثين عاد الفرس مرة أخرى لفتح مصر فيستبسل المصريون في الدفاع عن وطنهم فيهزمون الفرس ويردونهم على أعقابهم خاسرين .

ويملاً ملوك الاسرة الثلاثين جو البلاد خيـا اورغداً وترقى الصناعات وتتقدم العلوم ولكن هذا الرخاء لايدوم طويلاً أذ يعود الفرس ويهجمون على البلاد في عهد الملك «نقطنبو الثاني» آخر ملوك الاسرة الثلاثين فيقابلهم بجيش من المرتزة الأغريق الذين يخونون ويمكنون الفرس من المصريين .

ويقاسى المصريون الآلام بسبب الاعتماد على غيرهم في
الدفاع عن استقلالهم ، ويحصدون ثمرة هذا الإهمال المشين .
ويقول الفرس بمصر زمناً عابثين ظالمين حتى يصرعهم الاسكندر
المقدوني ، فيطردهم من مصر .



الاسكندر والبطالسة والرومان

مصر الساحرة:

وهناك من أقليم مقدونيا في شمال بلاد اليونان يخرج
 الاسكندر بن فيليب، فيكتسح الفرس في اسيا الصغرى وفي سوريا
 وفينيقيا ثم يهبط الى مصر فيطرد الفرس منها ويلتفت فاذا دولة
 عظيمة وأذا آثار رهيبة وأذا دين رائع له كهنة كالسحرة الماهرين
 في سحر لب الاسكندر ويلتمس - وهو الفاتح لمصر - الرضى من
 الكهنة فلا يمتنعون ويمنحونه لقب فرعون وولد آمون .
 ويزور واحة سيوة فيقدم أعلى القرابين للاله آمون ويشره
 آمون بفتح العالمين . ويزحف الاسكندر من سيوة الى البحر
 فيؤسس الاسكندرية لتكون حاضرة ملكه العظيم . ويدرك
 المصريون أيمانه بالهتهم فيقدمون له الطاعة راغبين لامكرهين

ويخرج الفتى المقدون، من مصر وهو فرعون مصرى صميم
ليحقق نبؤة الإله آمون بأن ابنه الإسكندر سيفتح الشرق القريب
والبعيد.

البطالسمة المصريون :

وتحقق نبؤة آمون فينتقل الإسكندر من نصر الى نصر
ويثل العروش بعد العروش ويزيد أن يعود الى الاسكندرية
ليتخذها عاصمة امبراطوريته العظيمة ولكن القدر يخونه
فيموت فى سن الثالثة والثلاثين فى مدينة بابل .

ويت رسم خلفاؤه خطواته ومراميه فينقلون جثته الى
الاسكندرية ويحكم مصر بالنيابة عن أخى الاسكندر وولده القائد
«بطليموس» ثم يستضعفهما فيستقل بالأمرو يؤسس أسرة البطالسمة
التي تحمل القاب الفراعنة وأسماء المصريين .

هذا «بطليموس الاول» ينشر العلم في أرجاء مصر ويؤسس
المتحف ومكتبة الاسكندرية ويحشد فيها جيشاً من النساخ

يكتبون و يبيعون آلاف المجلدات .

وهذا ابنه « بطليموس الثاني » يشيد منارة الاسكندرية
(شعار سلسلة الثقافة هذه) التي كانت تعتبر احدى عجائب الدنيا
السبع والتي كلفت خزانة مصر مائتي الف جنيه . ثم يزيد في مكتبة
الاسكندرية فتصل مجلداتها في ذلك العهد السحيق الى نصف مليون
وتنقلب المكتبة الى معهد على عال يتخرج فيه جهاذة العلماء الذين
نقف على أكتافهم الى الآن كالفيلسوف صاحب الهندسة
وايراتوستينيس الذي قاس حجم الأرض وهياركس الذي
وضع أول خريطة للسماء وهيرودوت الذي اخترع أول آلة بخارية
وارشيميدس الذي جاء من بلاد اليونان ليدرس في مكتبة مصر .
ويأمر « بطليموس الثاني » المؤرخ المصري « مانيتون » فيضع تاريخ
الفرعنة ويقسم عصوره الى الاسرات الثلاثين .

ثم يلى « بطليموس الثالث » فيفقد الجيش الى بلاد سوريا ثم
يتوغل في بلاد الفرس فيفتح معظمها ويعيد الى مصر تماثيل الآلهة

والاسلاب التي اغتصبها الطاغية قبيز وظلت في بلاد الفرس
ثلاثة قرون . أليس البطالسة فراغة مصريين ؟ !

ثم تتوالى سلسلة من البطالسة أشهرهم « بطليموس الخامس »
الذي أصدر أمراً نقش بالكتابتين المصريتين الهيروغليفية
والديموطيقية وبالكتابة اليونانية وعملت منه عدة صور على حجارة
نصبت في المعابد الهامة أشهرها الآن مفتاح اللغة المصرية القديمة
المعروف بمحجر رشيد .

فاذا كانت أيام « بطليموس الثالث عشر » إذا به يترك الملك
لولديه بطليموس ١٤ ١٥ ١٦ واختهما « كليوباترة » الشهيرة في التاريخ
فيحكم الأول بالاشتراك مع اخته حيناً ولكنه يطردها . ويأتى
« يوليوس قيصر » الى مصر ليستفيد لروما الناهضة من النزاع بين
الجالسين على العرش فاذا به يرى « بطليموس ١٤ » مطمئناً في قصره
و « كليوباترة » تقود جيشاً من أنصارها إلى الاسكندرية لتستعيد
نصيبها في إدارة المملكة . وتدير « كليوباترة » حيلة فتظفر بمقابلة

القائد الروماني . واذا «ببلييموس» ١٤، يقتل بعد ذلك في المعركة .
 وأذا بكليوبطرة تتزوج من قيصر وفق الشريعة المصرية فيعتبر قيصر
 بذلك فرعاً للمصر وينجب الاثنان قيصريون أو ببلييموس ١٦
 ويعود قيصر الى روما تتبعه كليوبطرة وطفلها وتظل هناك حتى
 يقتل قيصر . ثم تعود الى مصر فتقتل أخاها ببلييموس ١٥ . ثم
 تنفق كليوبطرة مع انطونيوس الذي تتزوجه فيما بعد وتنجب منه
 ثلاثة أطفال . ثم يتفان على ان يحكم العالم الروماني بالنيابة عن
 قيصريون بن كليوبطرة من قيصر ولكن اكتافوس يهزمها في
 موقعة اكتيوم فتنتحر بعد بضعة أسابيع خشية أن تقع أسيرة
 في أيدي الرومان .

مصر تهزم ولا تخضع :

و يدخل «اكتافوس» مصر فيعمد الى قتل قيصريون ليقضي
 على فكرة وراثته الامبراطورية الرومانية . وينهزم المصريون
 أمام جنود اكتافوس . ولكنهم لا يخضعون . ويغطون عار

الجزيمة بأن يعتبروا اكتافيوس فرعونا جديداً لهم على اعتبار أنه وريث « يوليوس قيصر » الذي كان فرعونهم الشرعى بزواجه من كليوباترة .

ويستمر المصريون يعتبرون الامبراطور الرومانى فرعونا ويشايحهم الرومان في رأيهم فيتوج أباطرة الرومان على انهم مندوبون عن فراغة مصر فيمنحهم المصريون الاسماء والالقاب المصرية المعتادة .

ولا تؤثر الحضارة الرومانية - على شهرتها وذيوعها - في مدينة المصريين الخالدة فيواصل المصريون انماطهم المألوفة ويشيدون معابد الآلهة على الطراز المصرى الفرعونى . ويظل الشعب بأسرة على عاداته وأخلاقه القديمة كأن لم يحدث حدث . ثم يظهر السيد المسيح في فلسطين إحدى ولايات الامبراطورية وتنتشر تعاليمه فتكتسح أمامها الوثنية وتنصر مصر كما تنصر سائر الامبراطورية الرومانية .

ويسلك الدين المسيحي سبيله في أرض الفراغة وتظل مصر
ردها من الزمن مسرحا للاضطهادات الدينية فيفتك «دقلديانوس»
بالمصريين المسيحيين وتعرف مذابحه «بعصر الشهداء» لكثرة
ضحاياها .

ويعلن «ثيودسيوس» ان المسيحية هي دين الدولة الرسمي.
ثم تنقسم الدولة الى قسمين شرقي وغربي وتتبع مصر القسطنطينية
عاصمة القسم الشرقي وهو الدولة البيزنطية . ويقاسى المصريون
عذاب الاضطهادات والظلم لمخالفتهم مذهب الكنيسة الملكية
بالقسطنطينية ويأبون الا أن يكون لهم مذهب خاص هو مذهب
اليعاقبة ، ولم يكن هذا الا أثرًا من آثار احتفاظهم بشخصيتهم
الفرعونية فيضطهدهم الروم ويثقلونهم بالضرائب ويثور المصريون
كلما أرادت القوة اكراههم على تغيير عقيدتهم فيهمزمون
ولا يخضعون .

ويفتح «كسرى الثاني» ملك الفرس مصر فيظل عشر سنين

ويعود الرومان ليقوا في مصر عشر سنين أخرى حتى يطردهم
الى الأبد «عمر و بن العاص» قائد الخليفة «عمر» وتبدأ مصر صحيفاً
جديدة من حياتها ثم يسدل الستار على تاريخها القديم . و يبتدىء
فصل جديد على مسرح التاريخ المصري يلعبه ممثلون آخرون . .



جميع الحقوق محفوظة



قائمة

بأسماء بعض الكتب الهامة في الموضوع

- (١) الحضارة القديمة تأليف المرحوم الاستاذ أحمد باشا كمال .
- (٢) تاريخ قدماء المصريين للعلامة برستد ترجمة الدكتور حسن كمال .
- (٣) دليل المتحف المصرى تأليف أمنا المتحف .
- (٤) ديانة قدماء المصريين للعلامة استندورف ترجمة الاستاذ سليم حسن .
- (٥) التاريخ القديم فى الشرق والغرب تأليف الاستاذ محمد مبروك نافع . (تحت الطبع)
- (٦) الأطلس الجغرافى التاريخى تأليف الاستاذين زكى الرشيدى ومحمد مبروك نافع
(الجزء الاول)
- (7) *A History of the Pharaohs. 3 vols. by Arthur Weigall.*
- (8) *A History of Egypt. 8 vols. by Wallis Budge.*
- (9) *A History of Egypt. 3 vols. by Flinders Petrie.*
- (10) *Historian's History of the World (Vol. I)*



Bibliotheca Alexandrina



0428750